

الفصل الثالث

التطور الدلالي

توطئة

((من المعلوم أنَّ كثيراً من الألفاظ قد تطورت دلالتها مع مرور الزمن، فالتطور ظاهرة شائعة في جميع اللغات وعليه شبهت لغتنا في نموها وتطورها بالكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره))^(١) ((وقد حصل التطور الدلالي في لغتنا العربية قديماً وحديثاً كغيرها من اللغات إذ تغير الكثير من معاني الألفاظ بعد الإسلام عما كانت عليه في العصر الجاهلي، وقد حدث مثل ذلك في العصور التالية))^(٢) ولو تفحصنا المعاجم اللغوية وكتب اللغة الأخرى لو جئنا فيها الكثير من الألفاظ التي تطورت دلالاتها، إلا أنَّ القدامى قصروه على حقبة بعينها بدافع الحرص على اللغة ورفضوا أيَّ تغيير في المعنى حصل بعد تلك الحقبة فتمسكوا بدلالات الألفاظ القديمة ومعانيها الأصلية، كما ورثت في المعجمات أول مرة إيان ما عرف بعصور الاحتجاج اللغوية^(٣).

لذلك يمكن القول أنَّ اللغة كالكائن الحي ينمو ويؤثر، فهي تنمو وتستعمل وتنقل من جيل إلى آخر لتعبر عن أفكارهم وحياتهم، وهي في انتقالها تؤثر وتتأثر، فدموت الفاظ وتحيا أخرى، وتضيق الفاظ بدلالاتها وتتسع أخرى وهذه صفات اللغات الحية ودليل حيويته، فاللغة لم تخلق لتوضع في بطون الكتب المقفلة ولا في الخزائن وإنما للاستعمال. ويرى الدكتور وافي ((أنَّ اللغة كاية ظاهرة اجتماعية عرضة للتطور في مختلف عناصرها: أصواتها وقواعدها ودلالاتها، وإن تطورها يجري وفق اتجاهات عامة وفي نماذج رئيسية، وليس تبعاً للاهواء والمصادفات ولا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي إليه، وليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها جامدة في وضع خاص))^(٤). أما (أولمان) فيرى أن اللغة ليست جامدة بحال من الأحوال على الرغم من إن تطورها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان، وتغير المعنى ليس سوى جانب من جوانب التطور اللغوي الذي يتم ضمن طبيعة اللغة الخاصة. فلا شيء ثابت أو مستقر فيها بصورة تامة، فكل صوت وكل كلمة أو تعبير أو أسلوب يكون شكلاً أو صورة متغيرة ببطء، لقوة مرئية أو مجهولة، وتلك هي حياة

(١) لحن العامة والتطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب ٣٠.

(٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٢٧٩.

(٣) ينظر: الترادف في اللغة: ١٧.

(٤) اللغة والمجتمع: د. وافي: ٩١.

اللغة^(١). وقد يحدث التطور اللغوي على وفق قوانين محددة، فالظاهرة اللغوية حرة الحركة يمكن أن تتجه إلى أي جهة شاءت من جهات التطور غير أنّها لا تولي وجهها هنا أو هناك إلا وهي محكومة بقانون لغوي محدد^(٢) وتختار المفردات بعدم ثباتها في الجيل الواحد بخلاف النظام الصوتي والصرفي والنحوي وذلك ((لأنها تتبع الحروف فكل متكلم يكون مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به، فالإنسان يزيد من مفرداته ولكنه ينقص منها أيضاً ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج. ولكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة دائماً فالذهن يروض نفسه على وجود الترادفات والمساثلات ويوزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة))^(٣) كما تختار المفردات باختلافها بأكثر من مدلول واحد في أن واحد ((وهذه ظاهرة ينفرد بها المعنى ولا يشاركه فيها الأصوات أو القواعد النحوية والصرفية. فإذا تغيرت قاعدة من قواعد النحو والصرف أو صوت من الأصوات، فالعادة أن تطرح المرحلة السابقة جانباً وتحل محلها التغيرات الجديدة على أن هناك استثناءات لهذه القاعدة العامة... أما في مجال المعنى فلاستثناء هو القاعدة))^(٤) ويكتفي الباحث بهذا القدر لأن الكثير من الباحثين أسهبوا في هذا الجانب.

التطور الدلالي عند القدماء

إن القارئ لكتب اللغة يجد القدامى قد أشاروا إلى موضوع التطور الدلالي الذي لحق بمجموعة من الألفاظ، غير أنهم عدّوا أنّ ما حدث بعد عصور الاحتجاج مولداً أو لحناً، على الرغم من أن الظاهرة واحدة، لكنّ هذا التطور الذي حصل لديهم لم يكن واضحاً ولم يضعوا التعليل والأدلة له ومن الألفاظ التي تطورت دلالتها ونص عليها القدامى ما ذكره الجوهري: (والخيم الماء الحار والخيمة مثله، وقد استخيمت إذا اغتسلت به، هذا هو الأصل، ثم صار كل اغتسال استحماماً بأي ماء كان)^(٥) وهناك الفاظ أخرى نص عليها ابن دريد ومن هذه الألفاظ (النخعة طلب الغيث ثم كثر فصار كل طلب انتجاعاً، والمنيخة أصلها أن يعطي الرجل الناقة أو الشاة فيشرب لبنها ويجتزأ وبرها وصوفها ثم صارت كل عطية منيخة... والوعى اختلاط الأصوات في الحرب ثم كثر ذلك فصارت الحرب وعى)^(٦) وهناك أمثله كثيرة في

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٧٠.

(٢) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه: ٣.

(٣) اللغة: ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٤) دور الكلمة في اللغة: ١٢٩.

(٥) الصحاح / ٥ / ١٩٠٥.

(٦) جمهرة اللغة، لابن دريد: ٣ / ٤٣٢-٤٣٣.

كتب القدماء تغيرت دلالاتها بسبب كثرة الاستعمال ولكن هناك التفاتة في هذا المقام وهي أنَّ اللغويين العرب القدامى وقفوا من التطور الدلالي وقفة الحرص والحفاظ على اللغة القديمة، وسموا الاستعمال بالمولد؛ وقصروا قبولهم على لغة القدماء التي حددوها بزمان معين وامكنة معينة؛ لأنَّ لغة هؤلاء هي التي يحتج بها دون غيرها، وما سواها خروج على اصل اللغة النقي الذي لم تشبه شوائب (الاحن) و(التوليد) و(المفسد) و(المزال) وغيرها، وقد وضعوا في هذا مصنفاتهم التي أسماها لحن العامة أو ما يشير الى ظاهرة التطور الدلالي من أسماء وعناوين آخر وقد قرّر ابن فارس ((أَنَّ أَيَّ تَغْيِيرٍ يَطْرَأُ عَلَى الْمَعْنَى مَوْقُوفٌ عَلَى مَا سَمِعَ))^(١).

((إلا أَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ لَمْ يَوْقِفْ الْحَرَكَةُ الدَّائِمَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ لِتَطَوُّرِ الدَّلَالَةِ اللَّفْظِيَّةِ))^(٢) اما ابن جني فقد عرّف اللغة بقوله (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)^(٣) وبما أنَّ أغراض الناس لا تنتهي فهي إذن في تغير وتبدل مستمرين حيث أنها تختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف الأخرى.

إن المستخلص من تعريف ابن جني هو كون اللغة ظاهرة مكسبة لا غريزية ولا مورثة إذ أنها تتغير بتغير الأغراض، ومن البديهي في اللغة أنها متطورة بتطور المجتمع وأغراضه. وهو يؤكد هذه الفكرة في مواضع كثيرة من كتبه إذ تراه يعقد باباً في خصائصه تحت عنوان (باب في هذه اللغة) وفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط)^(٤). يبحث فيه ظاهرة التطور اللغوي ويأتي ببعض أمثلها ويتوصل الى أنَّ اللغة لم تقع على دفعة واحدة بل جاءت على دفعات حسب الحاجة الداعية وهذا رأي يعزز نظرة ابن جني التطورية اللغوية.

كذلك نجد في كتابه أنه عقد باباً في تدرج اللغة. يقول في أوله ((وذلك أن يثبته شيء شيئاً آخر من موضع، فيمضي حكمه على الأول ثم يرقى منه الى غيره))^(٥) من خلال هذا العرض الموجز لرأي القدماء يرى الدكتور إبراهيم السامرائي ((أَنَّ اللغويين القدامى قصرُوا السَّيْلَةَ اللُّغَوِيَّةَ عَلَى قَوْمٍ مَعْيَنِينَ وَقَصَرُوا عَلَى زَمَانٍ مَعْيَنٍ، وَعَلَى بَيْئَةٍ مَعْيَنَةٍ، فَتَشَأُ فِي مَخِيلَاتِهِمْ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْهُ بِدَكْنَتُورِيَّةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ))^(٦) أخيراً أقول: أنَّ نظرة القدماء للغة بتلك الحدود القائمة على أساس زمان معين ومكان مخصوص هي سبب هذه الظاهرة التي نجم عنها فقدان تدوين الألفاظ

(١) الصاحبي: ٩٦.

(٢) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين: ٦٦.

(٣) ينظر: الخصائص ٣٣/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٢٨.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٣٤٨.

(٦) من أسرار البلاغة، د. إبراهيم اتيس: ٣٦.

ودلالاتها المتطورة ويعتبر هذا اهم عيب يجده الباحث المعاصر في المعجم العربي القديم.

موقف الباحثين المحدثين من التطور الدلالي؛

((لاحظ علماء اللغة المحدثون ان الالفاظ تتطور فتكتسب من المعاني اشباه جديدة لم تكن لها من قبل، ذلك أن اللفظة تحيا حياة متجددة وهي ابدأ في تغير في دلالاتها من قبل، وفي طرائق استعمالها، ولم تكن العربية لتشد عن باقي اللغات في هذا التبدل والتطور، فهي حية ناشطة تقذف بالجديد في كل حين تحصل الضرورة لاستخدام هذا الجديد في الالفاظ، وقد بحثت الدراسات التطور الدلالي على اسس مختلفة، فمنهم من لا تخرج عنده من الناحية التاريخية ومنهم من بحثها من الناحيتين الاجتماعية والنفسية وربط تطور الدلالة بالشعور والارادة والسلوك ومنهم من رجعها الى المستوى الشعبي، اذ بواسطة البحث في السدول يستطيع الوصول الى حلول كثيرة من مشكلات الانسان))^(١).

((والتطور الدلالي لا يكون بمعزل عن حملة التطور الحاصل في هذه اللغة؛ لأن اللغة تكون كلاً واحداً، إنها نظام وقيمة كل عنصر لا تتعلق به بسبب طبيعته او شكله الخاص ولكن بسبب مكانه وعلاقاته ضمن المجموع))^(٢) (ولا يعني تطور دلالة ما الى صورة مستجدة موت الدلالة القديمة بالنتيجة، بل قد تتعايش الدالتان في المحيط اللغوي الواحد فاللفظ يتخذ سبيلاً يختار فيه ما بين نقطة تداوله ومعناه الاول الى نقطة اخرى يجري استعماله فيها، ولا يشترط هنا التقفية على اثار المرحلة الاولى بل يقوم احتمال تعايش الدالتيق الى جانب احتمال طغيان الدلالة المتطورة على سابقتها))^(٣) وينجم عن هذا ما يسمى بالمولد والمشتراك اللفظي وهو ما شاع في لغة الادب والعلم في العصر العباسي.

والتطور الدلالي لا يكون في مفهوم علم الدلالة في اتجاه متصاعد دائماً إنما قد يحدث وأن يضيق المعنى او يخصص، كما يتسع او يعمم، فيكون الانتقال من المعنى الضيق او الخاص الى المعنى الاتساعي او العام وقد يحدث العكس، ولذلك يفضل بعض علماء اللغة المحدثين مصطلح تغير المعنى عوض مصطلح التطور الدلالي، يقول المسدي في ذلك ((إن الحقيقة العلمية التي لا مرأ فيها اليوم هي ان كل اللسان البشرية ما دامت تتداول فإنها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا ايجاباً ولا سلباً وإنما هو مأخوذ في معنى انها تتغير اذ يطرأ على بعض اجزائها تبدل نسبي في الاصوات والتراكيب من جهة ثم في الدلالة على وجه

(١) التطور اللغوي التاريخي: ٤٠ - ٤٢، ينظر: الاضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين: ٦٥.

(٢) علم الدلالة، بيار جبرو: ١٢٧.

(٣) علم الدلالة العربي، فايز الداية: ٣١٤.

الخصوص ولكن هذا التغير هو من البسط بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر))^(١).

((وظاهرة التطور الدلالي ظاهرة طبيعية، ويمكن رصدها بوعي لغوي لحركية النظام اللغوي المرن، إذ تنتقل العلاقة اللغوية من مجال دلالي معين الى مجال دلالي آخر، وهذا ما يمكن دراسته في مباحث المجاز، وفي حركية اللغة الدائبة قد تختلف الدلالة الاساسية للكلمة فاسحة مكانها للدلالة السياقية او لقيمة تعبيرية او اسلوبية، وبذلك تغدو الكلمة ذات مفهوم أساسي جديد، وقد يحدث أن ينزاح هذا المفهوم بدوره ليحل مكانه مفهوم آخر، وهكذا يستمر التطور الدلالي في حركة لا متناهية تتميز بالبطء والخفاء))^(٢) ويشرح (بيارجيرو) ذلك بقوله ((يتغير المعنى لأننا نعطي اسماً عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية، اذنا نسمي الاشياء ويتغير المعنى لأن أحدى المشتركات الثلوية (معنى سياقي، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجياً الى المعنى الاساسي وتحل محله فيتطور المعنى))^(٣) ويلاحظ فندريس ((أن النظام الصوتي والنظام النحوي اذا ما اكتسبا مرة بقيا طول العمر يدينان باستقرارهما الى استقرار ذهنية المتكلم. أما المفردات فعلى العكس من ذلك لا تستقر على حال؛ لأنها تتبع الظروف فكل متكلم يكون مفرداته من أول حياته الى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به، فالإنسان يزداد مفرداته ولكنه ينقص منها ايضاً، ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج))^(٤) والتغير في المعنى إنما هو تطور او تغير في العلاقة بين اللفظ وما يدل عليه بأن يضاف مدلول جديد الى كلمة قديمة، أو تضاف كلمة جديدة الى مدلول قديم^(٥).

لذلك فقد شغل التطور الدلالي حيزاً واسعاً في الدرس الدلالي حتى أن علم الدلالة في العصر الحديث كتبت بحوثه الأولى خاصة في التطور الدلالي. ويطلق احد الباحثين المحدثين على هذه الدراسة علم الدلالة التاريخي^(٦).

مظاهر التطور الدلالي

يرى علماء الدلالة المحدثون أن الالفاظ تتطور فتكتسب من المعنى اشباها جديدة لم تكن لها من قبل، وأن اللفظة تحيا حياة متجددة، وأن هذه الالفاظ تتغير في

(١) اللسانيات واسسها المعرفية: المسدي: ٣٨.

(٢) علم الدلالة / منصور عبد الحليل ٦٩-٧٠.

(٣) علم الدلالة / بيارجيرو / ترجمة: منذر عياشي، ٩٩.

(٤) اللغة: فندريس: ٢٤٦.

(٥) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ١٦٦.

(٦) ينظر: علم الدلالة: بالمر: ٢-٣.

استعمالها مما يؤدي الى التغيير في دلالاتها^(١). اما الدكتور ابراهيم انيس فيقول ((اللغة ظاهرة حياتية اجتماعية وكونها كذلك فهي اكثر الظواهر التصاقاً بحياة الفرد وهي خاضعة لمقاييس المجتمع وعاداته وتقاليده وثقافته بل هي الطريق لكشف عادات وتقاليده المجتمع ومستواه الحضاري والثقافي ولهذا يعتريها التبدل والتغيير اكثر ما يعتري الظواهر الاخرى، لكن في كل تغيير يحصل في اللغة نجد دائماً ما يعيننا على استمرار الحياة والتعبير عن اغراضنا المادية والمعنوية. وكل تطور في الحياة ينعكس على اللغة؛ إذ سرعان ما تجد للغة دلالات لما استجدت من امور ماكتشف من اشياء بمختلف الطرق سواء عن طريق خلع دلالات جديدة على الفاظ قديمة لعلاقة ما بين المدلولين مما يسمى بالتوليد حيناً، وبالمجاز حيناً آخر، أم عن طريق التعميم والتخصيص. وعندما تستنفد كل هذه الطرق تلجأ الى وسيلة اخرى وهي الاقتراض من اللغات الأجنبية))^(٢).

ولقد حاول العلماء ومنهم البلاغيون بجهود كبيرة منذ ارسطو أن يخضعوا تغييرات المعنى لشيء من التنظيم والتعقيد، ولاسباب جمالية او اسلوبية فقد حصروا جهودهم في تصنيف المجازات، وحين انتقل الأمر الى علماء اللغة حاولوا جادين في تنظيم البحث من عمليات انتقال المعنى دون اعتبار لمضموناتها الأدبية^(٣). وقد قام الباحث في هذه الرسالة بدراسة موضوع التطور الدلالي في شرح سقط الزند فوجد عدداً من المظاهر التي تؤثر في تغيير المعنى، وهذه الظواهر هي (توسيع المعنى - تضيق المعنى - انتقال المعنى) فأعطى توطئة لكل ظاهرة، ثم اخذ الالفاظ الموجودة في الشروح التي تدخل ضمن حيز هذه الظواهر فقام بدراستها دلالياً.

(١) التطور اللغوي التاريخي: ٤٠-٤١.

(٢) دراسات في اللغة: ١٣١.

(٣) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٢٤٣.

المبحث الاول

توسيع المعنى او تعميم الدلالة

لقد عرّف السيوطي هذه الظاهرة بقوله ((هو كل ما وضع عاماً واستعمل عاماً

مثل - كل شجرٍ له شوك فهو غصاه، كل شجر له شوك مدّرح، كل بقعة ليس فيها بناء فهي عرصة، كل مدينة جامعة فهي فسطاط، كل صانع عند الحرب فهو إمكاف، كل ما ارتفع من الارض فهو نجد))^(١).

اما ابن فارس في تعريفه للعام فيقول: ((الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئاً وذلك كقوله جل ثناؤه ﴿خَلَقَ كُلَّ نَابِتٍ مِّن مَّاءٍ﴾^(٢)

وتوسيع المعنى عند الدكتور احمد مختار هو: (ان يصبح عدد ما تشير اليه الكلمة اكثر من السابق؛ او يصبح مجال استعمالها اوسع من قبل)^(٣).

وهذه الظاهرة اكثر ما نشاهدها في لغة الاطفال، لقلة ثروتهم اللغوية، فأنهم في بعض الاحيان يطلقون اسم الشيء على ما يشبهه لأدنى مشابهة، فقد يطلقون مثلاً اسم حمار على الحصان أو البغل أو البقرة... كما ان بعض الالفاظ تستعمل بعموميّتها لتدلّ ما في مجموعها من معان ودلالات الى السامع، فكلمة السمك لها انواع كثيرة لكننا لا نحفظ من انواعه الا القليل، ولهذا نسمي كل الاجناس سمكاً. كذلك كلمة البأس التي كتبت تدلّ على القوة والحرب والشجاعة تطلق الان على كل شدة في ذلك المرض^(٤).

((ومن أمثلة هذا المظهر الكلمة الانجليزية (Born) التي كتبت تدلّ فيما مضى على ((مخزن الشعير)) ولكنها الان تدلّ على مخزن أي نوع من انواع الحبوب، وعلى مخزن ما سوى الحبوب ايضاً))^(٥).

ويضرب لنا ابن فارس مثلاً على التعميم ((كلمة (الوَرْد) بكسر الواو وسكون الراء، إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء وِرْداً، وأصل القَرَب (بفتح القاف والراء) طلب الماء، ثم صار يقال لكل طالب وهو يقرب كذا أي يطلبه))^(٦).

(١) المزهري: ١ / ٤٢٦.

(٢) سورة النور: الآية: ٤٥، والنص في الصحابي: ٢٠٩.

(٣) علم الدلالة: ٢٤٣.

(٤) ينظر: علم الدلالة والمعجم العربي، عبد القادر ابو شريفة: ٦٦، والتطور اللغوي، د. رمضان: ١١٧.

(٥) علم اللغة وفقه اللغة، د. عبد العزيز مطر: ٥١.

ويمثل لنا ستين اولمان ((باللفظة الإنكليزية (arrive) ويقابلها في الفرنسية كلمة (arriver) فالأولى منحدره عن الاصل اللاتيني (Adripare) بمعنى يصل الى الشاطئ وهذه الأخيرة ترجع الى (Ripa) أي شاطئ. فهذه الكلمة كانت في الاصل مصطلحاً بحرياً، لا يجوز استعماله الا في معنى الوصول الى الميناء. أما الآن فقد اتسع نطاق استعمالها، حتى أصبحت تشمل عدداً ضخماً من انواع الوصول سواء أكل ذلك على القنوم أم بأية وسيلة أخرى))^(١).

أما فندريس فإنه يحصر التعميم في ((إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله) يعطي مثلاً لهذا المظهر بما يقوله الطفل الباريسر عندما يرى نهراً: Jevoisuneseing ((أي أرى شيئاً أنه وسع معنى نهر السين بحيث يشمل كل نهر. قال فوندريس ((وتلك غلطة طفل لا يدوم لها أثر))^(٢). ولكنه يورد امثلة أخرى عمم فيها المعنى الخاص واستمرأ بقاؤها في اللغة ففي اللغة السلافية الجنوبية (العربية والكروايتية) عمم اسم الوردة بحيث شمل كل زهرة كما حدث ذلك في بعض اللهجات الألمانية والإيطالية)).

وفي العربية أن أصل الإستحمام هو الاغتسال بالماء الحميم، أي الحار، قال صاحب الصحاح ((هذا هو الاصل، ثم صار كل اغتسال إستحماماً، بأي ماء كان))^(٣). ويرى الدكتور مراد كامل ((بل أن حالة التوسع أو التعميم أندر من التضيق، ولما كانت فكرة العموم تطغى على المعاني الخاصة فقد يحدث للعقل ان ينتقل من أحد المعاني الى الآخر وهذه الظاهرة تقع على الأكثر في أسماء الذبابة، والحيوان، وأسماء اجزاء الجسم والأمراض والألوان وقد يكون ذلك عن طريق الاستعارة أو عن انتقال شعوري، فالذهن قد يضيف اسم أحد أعضاء الجسم الى عضو آخر يجاوره لسبب ما، وقد يلجأ الانسان الى الاستعارة اذا كانت تثير عنده فكرة جنسية، وذلك بوازع من الحياة))^(٤). ويرى أحد الباحثين ان ظاهرة تعميم الدلالة أقل شيوعاً من تخصيصها وأقل أثراً في تطوير الدلالات وتغيرها وغالباً ما تشيع هذه الدلالة في لغات الأمم الراقية التي قطعت شوطاً بعيداً من الثقافة والتقدم^(٥) من هذا يقول أحد الباحثين المحدثين ((أن أثر التعميم أو التوسيع في الألفاظ ومدى تأثيره على اللغة من حيث إعطاء معانٍ أوسع وأشمل وعند استعمال اللغة يجد المتحدث بها مجالاً واسعاً لاستعمال الألفاظ والمعاني التي يريد ولهذا أثره في إنماء الثروة اللغوية وتوسيعها

(١) الصحاح، لابن فارس: ٩٥ - ٩٦ .

(٢) دور الكلمة في اللغة: ١٨٠ .

(٣) اللغة: ٢٥٨ .

(٤) الصحاح: ٣ / ٢٩٤ .

(٥) دلالة الألفاظ العربية وتطورها: محاضرات القاها - د. مراد كامل، ١٩٦٣: ٢٥ .

(٦) ينظر: دلالة الألفاظ - إبراهيم السامرائي: ١٥٠ .

وتطور الألفاظ ودلالاتها))^(١) وقد عَدَّ أحد اللغويين طائفةً من هذا النوع مما تقولُه العامة، ليس من المؤكد أنَّ فيها تعميماً بعد تخصيص والسبب في ما ذهب إليه هؤلاء اللغويون أنَّهم يميلون إلى الرأي القائل بوجود فروق لغوية بين كلمات يرجح أنَّ أصلها اللغوي واحد، كالحثِّ والحضِّ، والنَّهش والنَّهس، والقَبْض والقَبص، أو أنَّ معناها واحد كالغيث والمطر^(٢). ومن هذه الكلمات ما يأتي:

١- لا يفرقون بين النَّهش والنَّهس، ويرى ابن الجوزي أنَّ النَّهش يكون بالاضراس والنَّهس بالأسنان، والمروى عن الأصمعي أنَّه لا فرق بين النَّهش والنَّهس^(٣).

٢- يجعل عامة بغداد الطَّعينة اسماً للمرأة سواء أكانت في اليهودج أم لم تكن. وعلى قول العامة قال ابن الأنباري: ((وقد يُقال للمرأة وهي في بيتها طَّعينة))^(٤).

٣- لا يفرق عامة بغداد بين القَبْض والقَبص، ويرى بعض اللغويين أنَّ القَبْض خاصُّ بحالة إمساك الشيء بجمع. أما القَبْص فيكون باطراف الأصابع، ولكن في الإبدال لابي الطَّيِّب: ((ويقال قَبْضٌ قَبْضةً، قَبْصٌ قَبْصةً بمعنى، وبعضهم يقول: ((القَبْضة أصغر من القَبْضة))^(٥).

٤- لا يفرق عامة بغداد بين جَلَسَ وقَعَدَ، ويتبع ابن الجوزي الرأي القائل بأنَّ القَعُودَ عن قيام، والجُلُوسَ عن حالة دون الجلوس كالنوم والسجود. وهذه التفارقة رأي لبعض اللغويين^(٦).

٥- لا يفرق عامة صقلية بين الجَنْب والجَنْب، والأمْهات والأمَّات. ويقول ابن مكي: أنَّ الجَنْب للحيوان والجانب ناحية كلِّ شيء. والأمْهات للادميين، والأمَّات للحيوان.

٦- يستعمل عامة صقلية كلمة الهوى في الخير والشر، ولكن ابن مكي يرى أنَّ الهوى لا يكون إلا في الشر وهو رأي كثير من أهل اللغة. ويبدو أنَّ هؤلاء اللغويين اعتَمَدوا في رأيهم على الآية الكريمة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى

(١) عوامل التطور اللغوي: ١٢٥.

(٢) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: عبد العزيز مطر: ٢٨٣-٢٨٥.

(٣) ينظر: الإبدال، الأصمعي: ١٦٥/٢.

(٤) الأضداد: ١٦٤.

(٥) الإبدال: ٢٤٦/٢.

(٦) ينظر: الصاحبي: ٩٦ - ٩٧.

أَتَمَسَّ عَنِ الْمَوْتِ (١) ولكن السياق هنا هو الذي جعل معنى الهوى في الشر؛ لأنه هوى النفس الأمارة بالسوء.

ويفسر الدكتور إبراهيم السامرائي هذه الحالة بقوله ((إن الناس في حياتهم العادية يكتبون بأقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديدها، ويقعون في فهمهم للدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب، و يكادون يحرصون على الدلالة الدقيقة المحددة التي تشبه المصطلح العلمي)) (٢) (ويضاف الى هذا ويؤيده ان الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة صوتياً او المترادفة، ليست موضع اتفاق بين اللغويين، أي أن بعضهم سمع بعض العرب يعزمون هذه الدلالة ولا يفرقون هذه التفرقة الدقيقة)) (٣).

الفاظ العموم في شروح سقط الزند:

لقد اشار الشراح الى توسع المعنى بالافاظ تدل على صحة العموم مثل كل، كثر، عم، اتسع، وهذه الالفاظ استعملها الباحث وما سواها فمتروك للتأويل والتقدير. وفيما ياتي الفاظ انتقلت دلالاتها من الخصوص الى العموم.

١- لفظة (النطاق) الواردة في قول ابي العلاء:

زَادَتْ عَلَيْهَا لِلظُّلَامِ رُواقٌ وَمِنْ النُّجُومِ قَلَانِدٌ وَنَطَاقٌ

يقول التبريزي ((النطاقُ ما يُشَدُّ به خِصْرُ الإنسانِ، وَاَعْرِفْ ذَلِكَ أَنَّ يُؤْخَذَ ثَوْبٌ فَيُشَدُّ فِي الْوَسْطِ بِخَيْطٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَى الْقَمِيْنِ، ثُمَّ صَيَّرَ كُلُّ مَا شَدَّ بِهِ الْوَسْطَ نِطَاقًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَخَذَ أَهْبَتَهُ لِلْأَمْرِ قَدْ شَدَّ نِطَاقَهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُمْ كُنَّوْا عَنْ ذَلِكَ بِحُلِّ النَّطَاقِ، فَقَالُوا: حَلِّ فَلَانٌ نِطَاقُهُ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا)) (٤) كما في قول الشاعر:

فَالْقَتَّ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ (٥)

اما الخوارزمي فيقول ((النطاقُ شِدْقَةٌ تَلْبَسُهَا الْمَرْأَةُ وَتَشَدُّ وَسَطُهَا بِحَبْلٍ، ثُمَّ تُرْسَلُ الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ إِلَى الرُّكْبَةِ، وَالْأَسْفَلُ عَلَى الْأَرْضِ يَنْجَرُ، وَلَيْسَ لَهَا حُجْرَةٌ وَلَا نِيقٌ (١) وَلَا مِاقِلُنْ، هَذَا أَصْلُهُ، ثُمَّ حُجِّلَ كُلُّ شَيْءٍ يُشَدُّ بِهِ الْوَسْطُ نِطَاقًا)) (١).

(١) سورة النازعات الآية ٤٠.

(٢) دلالة الالفاظ: ١٥١.

(٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر: ٢٨٥.

(٤) شروح سقط الزند: ٢ / ٧٦٢.

(٥) البيت لمعمر بن حمار البارقى، كما في اللسان: (٢٠ - ٢٢٢)، وينظر: البيت في الاغاني: (١٦٠ - ١٦٢).

وقال ابن منظور في ذلك ((النَّطَاقُ كُلُّ مَا شَدَّ بِهِ وَسَطُهُ غَيْرُهُ تَقُولُ تَطَقَّتْ الرَّجُلُ تَنْطَلِقُ أَي شَدَّهَا فِي وَسَطِهِ))^(٣) وهناك إحدى الصحابييات قد شَدَّتْ نِطَاقَهَا لِتَحْمِلَ فِي طَرَفِيهِ الطَّعَامَ وَالْثَرَابَ فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاتِ النَّطَاقَيْنِ وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٣- لَفْظَةُ (الْمَقَاوِرُ) الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ:
إِلَيْكَ طَوَى الْمَقَاوِرُ كُلُّ رَكْبٍ سَمَلِهِمُ التَّغَرُّبُ وَالْبَعَادُ

أشار التبريزي إلى أَنَّ الْمَقَاوِرَ ((جَمْعُ مَقَارَةٍ وَهِيَ الْمَهْلَكَةُ. قَالُوا: إِنَّمَا قِيلَ لِلْمَهْلَكَةِ مَقَارَةٌ تَفَاوُلًا؛ لِأَنَّ الْفَوْزَ صِدَدُ الْهَلَاكِ. يُقَالُ كَ فَازَ يَفُوزُ فَوْزًا، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى قِيلَ لِكُلِّ مَنْ ذَلَّ خَيْرًا فَازَ بِكَذَا يَفُوزُ فَوْزًا ثُمَّ يَشِيرُ التَّبْرِيزِيُّ إِلَى أَنَّ الْمَقَارَةَ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ سَمِيَّتْ مَقَارَةٌ مِنَ الْفَوْزِ وَهُوَ الْهَلَاكُ، يُقَالُ: فَازَ الرَّجُلُ وَفَوْزًا، إِذَا مَاتَ، وَإِذَا وَجَدْنَا الْفَوْزَ بِمَعْنَى الْهَلَاكِ حَمَلْنَا الْمَقَارَةَ عَلَى أَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ مَهْلَكَةٌ، وَبَطَلَ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّمَا سَمِيَّتْ مَقَارَةٌ تَفَاوُلًا))^(٤) أَمَّا الْبَطْلِيُّوسِيُّ فَيَقُولُ ((الْمَقَاوِرُ جَمْعُ مَقَارَةٍ وَهِيَ الْفَلَاةُ الَّتِي تَهْلِكُ مِنْ سَلَكِهَا، سَمَّوْهَا مَقَارَةً تَفَاوُلًا لِسَالِكِهَا بِالْفَوْزِ وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ تَسْمَى مَهْلَكَةٌ. هَذَا أَقُولُ الْأَصْمَعِيُّ. وَقَالَ ثَعْلَبُ سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمَقَارَةِ، وَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ الْأَصْمَعِيُّ، فَقَالَ: اخْطَا؛ لِأَنَّ أَبَا الْمَكَارِمِ أَخْبَرَنَا أَنَّهَا سَمِيَّتْ مَقَارَةً لِأَنَّ مِنْ قَطْعِهَا وَنَجَا مِنْهَا فَازَ. وَقَدْ حَكَى اللَّغَوِيُّونَ أَنَّهُ يُقَالُ: فَازَ الرَّجُلُ وَفَوْزًا إِذَا أَهْلَكَ))^(٥) أَمَّا الْخَوَارِزْمِيُّ فَيَقُولُ الْمَقَاوِرُ جَمْعُ مَقَارَةٍ، وَهِيَ مَفْعَلَةٌ، إِسْمًا مِنْ فَازَ وَفَوْزًا، إِذَا مَاتَ، وَلِذَلِكَ سَمِيَّتْ بِبِدَاءٍ، لِأَنَّهَا مِنَ الْبِيدُوْدَةِ، وَهِيَ الْهَلَاكُ؛ وَأَمَّا مَنْ الْفَوْزَ وَهُوَ الظَّفَرُ وَحِينَئِذٍ تَسْمِيَّتُهَا بِهَا مِنْ بَابِ التَّفَاوُلِ))^(٦) مِنْ خِلَالِ هَذَا كَلَّهَ يَرَى الْبَاحِثُ أَنَّ لَفْظَةَ الْمَقَاوِرُ سَمِيَّتْ بِذَلِكَ تَفَاوُلًا لِإِرْكَابِهَا بِالسَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ وَالْمَقَارَةُ الْمُنْجَاةُ لِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿بِمَقَارَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(٧) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ

فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٨) فِيهِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ جَاءَ الْفَوْزُ بِمَعْنَى النِّجَاةِ.

٤- (النَّزَالُ) الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ:

(١) النِّفَاقُ: الْمَوْضِعُ الْمَتَّعُ مِنَ السَّرَاوِيلِ.

(٢) شُرُوحُ سَقَطِ الزَّنْدِ: ١٠ / ٣٥٧.

(٣) لِسَانُ الْعَرَبِ: ١٠ / ٣٥٧.

(٤) شُرُوحُ مَقَطِ الزَّنْدِ: ٢ / ٣٠٦.

(٥) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ٢ / ٣٠٦.

(٦) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ١ / ٣٠٧.

(٧) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ٧٣.

(٨) سُورَةُ النَّسَاءِ / الْآيَةُ ٧٣.

فَفِي كُلِّ غَارَةٍ يَوْمٍ مُّشْمَعَةٌ وَفِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَنَزَالٌ

يفسر التبريزي هذه اللفظة بقوله ((نزال: مُبارزة يُدعى فيها نزال، أي يُقال فيها: أنزلوا إلى القتال. ونزالٌ موشةٌ معدولة من أنزل)) قال الشاعر:
وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أَسْلَمَةٍ إِذْ دُعِيتَ نَزَالٍ وَلَجَّ فِي الدَّعْرِ

أما البطليوسي فيشير إلى توسيع المعنى فيقول: ((واصل النزال أن ينزلوا عن خيلهم ويقاتلوا على أقدامهم. ويكون النزال أيضاً أن ينزلوا عن إبلهم ويركبوا خيلهم، ثم كثر ذلك حتى استعمل فيما لا نزول فيه)) (١).

ويرى الجوهري إلى أن ونزال مثل فطام.. بمعنى أنزل، وهو معدول عن المنازلة. وقول الجوهري نزالٌ معدولٌ عن المنازلة يدل على نزالٍ بمعنى المنازلة (٢) لا بمعنى النزول إلى الأرض.

٥- لفظة (المسافة) الواردة في قول أبي العلاء:

فَلَوْ كُنَّ حَقّاً مَاظَنَّنْتُ لَأَغْتَدَتْ مَسَافَةٌ هَذَا الْبَرِّ سَيُفَتْ أَوَالٍ

يقول البطليوسي: ((المسافة: الفلاة التي يساق فيها الثراب، أي يشمه الدليل في الليل إذا ظن أنه قد أخطأ الطريق. هذا أصلها، ثم كثر ذلك حتى سموا كل فلاة مسافة)) (٣) ومن المجاز: ((كم مسافة هذه الأرض، وبيننا مسافة عشرين يوماً للمضرب البعيد)) (٤).

- لفظة (الإخلال) الواردة في قول أبي العلاء:

خَلَوْ فَوَادِي بِالْمَوَدَّةِ إِخْلَالٌ وَإِبْلَاءُ جِسْمِي فِي طَلَابِكِ إِبْلَالٌ

يقول البطليوسي: ((الإخلال: الإضرار. وأصله أن يترك الرجل في الشيء خلّة لا يصلحها ثم صار مثلاً في كل شيء قُصِّرَ فيه، ولم يُعرف ما يوجبه ويقتضيه)) (٥).

ويقول الزمخشري في هذا: ((الإخلال: أخل بمركزه وتركه، وأخل بقومه غاب عنهم وتخلل الثوب بلى ورق. ومن المجاز: إخلل إفتقر. ونزلت به خلّة

(١) شروح سقط الزند: ٣ / ١٠٥٨.

(٢) الصحاح: ٥ / ١٨٢٨.

(٣) شروح سقط الزند: ٣ / ١٢٠٤.

(٤) أساس البلاغة: ٤٦٧.

(٥) شروح سقط الزند: ٤ / ١٦٨٥.

وَأَخْتَلَلْتُ إِلَيْهِ: احْتَجْتُ إِلَيْهِ وَأَقْسَمْتُ فِي هَذَا الْمَالِ فِي الْأَخْلِ فَالْأَخْلُ. وَأَخْتَلَّ اسْرُهُ وَبَدَأَ فِيهِ خَلٌّ^(١).

(١) أساس البلاغة: ٢٤٩.

٦- لفظة (الاستعداد) الواردة في قول ابي العلاء: حَشَرَ مُسْتَعِدًّا إِلَى الرَّحْمَنِ ثَبَّتَا فِي قَمِيصِهِ لِيَجِيءَ الْـ

يقول البطلانيوسي ((الاستعداد: طَوَّعَ لِبِ إِعْدَاءِ الْعَدَى وَ الْعَدَى رَجَالُ الْقَاضِي يَغْدُونَ فِي أَحْضَارِ الْخُصُومِ لِلانْتِصَافِ، ثُمَّ كَذَرَ حَتْنَعُمْ فِي كُلِّ انْتِصَافٍ يُسْتَعْلَنُ لَهُ الْإِمِيرُ. سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ بِإِعْدَاءِ الْعَدَى أَوْ لَمْ يَكُنْ))^(١)

٧- لفظة (الرَّمْسُ) يقول البطلانيوسي (الرَّمْسُ: الْقَبْرُ، وَيُقَالُ رَمَسْتُ الْمَيِّتَ إِذَا دَفَنْتَهُ، وَكُلَّ شَيْءٍ أَخْفَيْتَهُ فَقَدْ رَمَسْتَهُ)^(٢)

قال ابن منظور (رَمَسَ الشَّيْءَ يَرْمِسُهُ رَمْسًا رَمِيئًا: طَمَسَ أَثَرَهُ، وَرَمَسَهُ يَرْمِسُهُ وَيَرْمِسُهُ: فَهُوَ مَرْمُوسٌ وَرَمِيْسٌ: تَفَنَّهُ وَمَتَوَّى عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَكُلَّ مَاهِلٍ عَلَيْهِ التُّرَابُ فَقَدْ رَمَسَهُ، وَكُلَّ شَيْءٍ نَثَرَ عَلَيْهِ التُّرَابَ فَهُوَ مَرْمُوسٌ، وَارْمَسْتُ الْمَيِّتَ وَارْمَسْتُهُ: تَفَنَّنْتُهُ. وَرَمَسُوا قَبْرَ فُلَانٍ إِذَا كَتَمُوهُ وَسَوَّوْهُ مَعَ الْأَرْضِ)^(٣)

٧- لفظة (حَشَرَ) الواردة في قول ابي العلاء: هِيَ حَشَّتْ فَالْعَوَامِلُ أَجْدَالُ إِذَا قَدَحَتْ فَالْمَشْرِفَى زَنَادَهَاوَانِ

يقول البطلانيوسي (يُقَالُ حَشَّشْتُ النَّارَ إِذَا اشْتَعَلَتْهَا وَاصْلُ ذَلِكَ أَنْ يَلْقَى عَلَيْهَا الْحَشِيشُ لِتَهْيِجٍ وَتَشْتَعِلَ)^(٤) هذا الكلام يوضحه الخوارزمي بقوله (حَشَّ بِه النَّارُ إِذَا أَوْقَدَهَا، وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ حَشَّشْتُ الدَّابَّةَ إِذَا أَطْعَمْتُهَا الْحَشِيشَ... وَالْقَاءُ الْحَشِيشَ لِلنَّارِ فِي أَوَّلِ الْإِيقَادِ، حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ الْقَيَّ لَهَا الْحَطْبُ، هَذَا أَصْلُهُ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ إِيْقَادٍ)^(٥) وهذا الكلام يعضده قول ابن منظور (حَشَّ النَّارَ يَحْشُهَا حَشًّا: جَمَعَ إِلَيْهَا مَا تَفَرَّقَ مِنَ الْحَطْبِ، وَقَبْلَ أَوْقَدَهَا)^(٦) ولهذه اللفظة عند أحد اللغويين القداسي أربعة أوجه: فتكون بمعنى الحائط فيه تَخَلُّ وَجَمَاعَةُ الْحَشَّانِ، وتكون بمعنى اخذ الحشيش من الأرض يقال هو يَحْشُ حَشًّا، وتكون بمعنى الكنيف، وتكون بمعنى إيقاد الحطب وإيقاد الحرب وسُغَرَهَا: قَالَ عَنَتْرَةَ حَشَّ الْوُقُودُ بِهِ جَوَائِبَ مُقَمِّمٍ)^(٧)

٨- لفظة (مَرَسِنْ) الواردة في قول ابي العلاء:

(١) شروح سقط الزند: ١ / ٤٤٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ١٢٥٠ .

(٣) لسان العرب: ٦ / ١٠١ .

(٤) شروح سقط الزند: ٣ / ١٢٥٠ .

(٥) المصدر نفسه: ٣ / ١٢٥٠ .

(٦) لسان العرب: ٢ / ٢٨٣ .

(٧) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه: لأبي العباس: ٧٨، وهو عجز بيت لعنتره في شرح ديوانه: ١٤٧، وصدره: وكان ربا أو كحילה معقدا .

مَرَّاسِيهَا أَصْنَت لِنُورِ مَرَّاسِيهَا فَمَا تُظْلِمُ الْأَبْيَاتُ إِلَّا مِنَ الظُّلَمِ

يقول الخوارزمي (المَرَّاسِيْنُ فِي الْأَصْلِ: جَمْعُ مَرْمِسٍ، وَهُوَ مَوْضِعُ الرَّمْسِ مِنْ الْبَعِيرِ. ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ: قَطَعْتُ ذَلِكَ عَلَى زَغَمٍ مَرْمِسِيْنِهِ، أَيْ عَلَى رِغْمٍ أَنْفِهِ. قَالَ الْعَجَّاجُ وَفَاجِئاً وَمَرْمِساً مُسْتَرْجِأً، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الِاسْتِعَارَةِ^(١)).

ويقول أحمد بن فارس (الْمَرْمِسُ الْخَيْلُ مِثْلُ مَرْمِيٍّ؛ لِتَمَرُّسُنْ قَوَاهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَالْجَمْعُ أُمُرَاسٌ وَالْمَرْمِسُ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الرَّمْسُ مِنْ أَنْفِ الْبَاقَةِ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ مَرْمِسُ الْإِنْسَانِ، وَرَمَسْتُ الْفَرَسَ وَارَسَنْتُهُ شَدَدْتُه بِالرَّمْسِ)^(٢).

٩- لَفْظَةُ (الْعَقِيقُ) الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ:
وَذَكَّرْتُ الْعَقِيقَ أَيَّامَ عَقِّ الْمَالِ صَيفٌ يَبِينُ عُنْدِي بَرِيْرًا

يقول التبريزي (الْعَقِيقُ: وَادٍ مَعْرُوفٌ بِالْمَدِينَةِ. هَذَا أَصْلُهُ، ثُمَّ كَثُرَ وَأَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ شَقَّقَهُ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ عَقِيقٌ وَمَعْقُوقٌ وَقَالُوا: كُلُّ وَادٍ عَقِيقٌ)^(٣) ويقول ابن منظور (عَقَّه يَعْقُهُ عَقًّا فَهُوَ مَعْقُوقٌ وَعَقِيقٌ شَقُّهُ وَالْعَقِيقُ وَادٍ بِالْحِجَازِ كَأَنَّهُ عَقٌّ أَيْ شَقٌّ)^(٤).

١٠- لَفْظَةُ (أَهْلٌ) الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ:
أَهْلٌ بِصَوْتِهِ فَأَهْلٌ شُكْرًا بِهِ الْأَقْوَامُ فَاافْتَحَرَ النَّهْدِي

يقول التبريزي (أَهْلٌ الصَّبِيُّ إِذَا صَاحَ أَوْ يَكِي عِنْدَ الْوِلَادَةِ وَكُلُّ رَافِعٍ صَوْتُهُ مَهْلٌ. وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا نَظَرُوا إِلَى الْهَلَالِ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ. قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ يَهْلٌ بِالْفَرْقَدِ رُكْبَانُهَا كَمَا يَهْلُ الرَّكَّابُ الْمُعْتَمِرُ^(٥)).

ويقول ابن فارس (وَأَمَّا الَّذِي يُحْمَلُ عَلَى هَذَا الْقُرْبِ وَالْجَوَارِ، فَالْهَلَالُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَمِّيَ بِهِ، لِأَنَّ هَلَالَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ مُكَبَّرِينَ دَا عَيْنِ)^(٦)، وَأَهْلُ الْهَلَالِ

(١) شروح سقط الزند: ٥ / ١٩٩٥، والبيت في ديوان العجاج .

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٣١٠ .

(٣) شروح سقط الزند: ٢ / ١٨٠٧ .

(٤) لسان العرب: ١ / ٢٧٥ .

(٥) شروح سقط الزند: ٣ / ١٣٢٢، والبيت في اللسان: ٤ / ٦٠٥، مادة: (عمر) .

(٦) معجم مقاييس اللغة: ٦ / ١١ .

وَأَسْتَهْلَ رُفَعَ الصَّوْتُ بِذِكْرِهِ عِنْدَ رَوَيْتِهِ^(١) . وَزَعَمَ الْكَسَايُ^(٢) (أَنَّهُ يَقَالُ أَهْلُ الْهَيْلَالِ وَأَهْلُ وَأَسْتَهْلَ وَأَسْتَهْلَ، وَلَا يَقَالُ هَلْ) وَحَكَى ابْنُ سَيِّدَةٍ فِي الْمَحْكَمِ^(٣) (هَلُ الْهَيْلَالِ) لَكِنَّ الرَّأْيَ الْأَوَّلَ هُوَ عَلَيْهِ كَلَامُ الْفَصَحَاءِ .

(١) ينظر: شرح الفصيح: ابن هشام: ٧٢ .

(٢) الأيام والليالي والشهور: الفراء: ٢٧، وفيه: أَهْلُ الْهَيْلَالِ وَأَهْلُ وَأَسْتَهْلَ وَأَسْتَهْلَ .

(٣) المحكم: ٤ / ٧٢ - ٧٣ .